المبادئ المنهجية في إعداد المصطلح العربي الحديث

الدكتور: هشام خالدي – جامعة (تلمسان)

تقديم:

إن من يضع مصطلحا إنما سيقي من مخزون اللغة وقاموسها الجمعي لفظا تشير إلى ما يفكر فيه، وتسمي ما يراه هذه اللفظة التي تغدو علما يعرف موضوعه ومصطلحا يميز مادته، تتوسط بين ذات واضعها بما تحمله من طابع ثقافي ونفسي واجتماعي، وما يحركها من أصابع التاريخ وفضاء الجغرافيا، وبين موضوع دلالتها بما يحمله ن ثبات المادة، ورسوخ العنصر، وشموله....، ومن ثم يحمل المصطلح في ظاهرة ومضمونه دلالات ذاتية ذات نسق تاريخي وثقافي ودلالي لموضوعية ذات خلوص منهجي وإرادة معرفية، بقدر إصابته في تمييز ما يثبت، وتجاوزه نحو ما يستقر، فعناصر الذات وطوابعها تجسد في المصطلح حكما منحازا بالضرورة لجماع مكونات التراث في لحظتها الفردية والحضارية، وصفات الموضوع وطوابعه تحمله حقيقة الوجود، وتلبسه معنى الـ (ما صدق)، وبين هذه وتلك تغدو المصطلحات مادة الدراسة الاجتماعية، والعلامتية، والحضرية المعرفية، والبيئية والتاريخية، والبنائية،والتفكيكية،...مثلما هي مجال طريق للتملي في حركة الفكر والمفاهيم؟، والتفكير حول ما يصنع تفكيرنا ويوجهه.

وإذا ما تجاوز بنا تلك المصطلح التي تحمها المادة الطبيعية والرياضية بسياجها الحسي والصوري الصارم على النحو الذي يتلاشى فيه دور الإنسان، ويخفت جهد الذات وطابعها في سك المصطلح، وإبداع التسمية كما هو حال العلوم الطبيعية والرياضية، فإن

للمصطلحات الاجتماعية والفلسفية والأدبية واللغوية نصيبا وافرا من الصفة الإبداعية التي تشع بالفعل الإنساني، وتضيء بالذات كمحمول تنطوي عليه اللغة، وتكشف ما يداخله وما يختبئ في سريرته، وهنا يقف الحر حاسما بين مصطلح تبدعه الذات لتسمي به فكرتها أو همها، وآخر تنقله أو تقلده عن غيرها للغرض نفسه، ففي إيداع المصطلح واختراع التسمية معاناة وصدق وحيوية إدراك ووعي بالسياق وتجادل مع زخم أضداده ومعايشة عميقة ونافذة لمعطياته، وهو ما يعني المصطلح بالتاريخ وكثير به بالواقع الاجتماعي والحضاري والخلفية المعرفية والإيديولوجية وطريقة التفكير وأعره المنهجية.

أولا: المبادئ العامة والخاصة لإعداد المصطلح:

بناء على التوليد المصطلحي استخلص العرب المحدثون عدة مبادئ اعتبروها مقياسا لوضع المصطلح العربي الحديث وهي صنفان:

1.مبادئ عامة: تمثل " اختيارات مبدئية" موجهة لمواقف مترجم المصطلحات الأعجمية أكثر مما هي موجهة لعمله التوليدي المصطلحي، ويمكن استخلاص خمسة مبادئ أساسية هي:

أ.الأخذ بالقياس في اللغة.

ب.قبول السماع من المحدثين وخاصة ما شاع من ألفاظ قد ولدوها في كتاباتهم غير المصطلحية أو في حرفهم وصناعاتهم التي يمارسونها.

ج.الاقتباس من التراث باستخراج المصطلحات من المكتب العربية القديمة وإحياء ما هو جدير بالإحياء تمثلا بمبدأ آخر مندرج تحت هذا هو" تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد".

د.تفضيل العربي على المعرب.

هـ .إكساب المصطلح العربي الدقة والخصوصية[1].

وأهم هذه المبادئ الأول والخامس لصلتهما بمنهج التوليد، فإن مبدأ الأخذ بالقياس ذو قيمة كبيرة في التوليد الصرفي خاصة لأنه يسمح بقياسية صيغ صرفية كثيرة كانت تعد، سماعية، والمبدأ الخامس فذو أهمية في التوليد الدلالي لأن فيه دعوة إلى تجنيب المصطلح المولّد الغموض والغرابة والتعميم والاشتراك، فإن هذه من سمات الوحدة المعجمية العامة القابلة لاكتساب الدلالة الإيحائية والوظيفة الأدبية، أما الوحدة المعجمية المخصصة أي المصطلح، وخاصة إذا كان علميا، فإن من أهم سماتها ذاتية الدلالة وأحاديتها وخصوصيّتها.

وأما المبادئ الثلاثة الباقية فتهم عمل المترجم باعتباره مترجما وليس باعتباره واضعا للمصطلح، لأن مقالات المحدثين ونصوص التراث تقدم للمترجم مادة مصطلحية جاهزة صالحة لمقابلة الخصوصيات المعجمية في اللغة المصدر، على أن تلك المقالات والنصوص قد تكون ذات دخل في التوليد الدلالي إذا عمد المترجم إلى بعض مادتها، وهذا التجوّز كثير الحدوث، وهو مدعاة إلى مخالفة المبدأ الخامس لأنه يؤدي إلى إفقاد المصطلح العربي الدقة والخصوصية وإيقاعه في الأدبية والتعميم[2].

2.*مبادئ خاصة*: مُنهجة لتطبيق قواعد التوليد، أي لكيفية توليد المصطلح الجديد، فهي إذن مبادئ تتحكم في منهجية التوليد من حيث صورة المولد أو صيغته، ومن حيث دلالته وقد صنفت تلك المبادئ بحسب انتمائها إلى الخصائص الضرورية التمييزية في الوحدة المعجمية، وهي أربع: الانتماء المقولي، والتأليف الصوتي، والبنية الصرفية والدلالة على أن المبادئ قد أهملت كليا الانتماء المقولي، فلم تهتم بمقولية المصطلح من حيث هو اسم أو فعل أو صفة أو ظرف، وعلى هذا الأساس :"فإن الاصطلاح يحصل من الانتقال باللفظ من

التعميم إلى التخصيص، والأسماء من بين أنواع المقولات المعجمية أقبَل لذلك الانتقال، وهي على اكتساب المفاهيم أقدَر"[3].

على أن هذا لم يمنع وجود الأفعال والصفات بكثرة في المعاجم المختصة العربية الحديثة، رغم ضعف الأفعال في الاصطلاح لانتمائها إلى اللغة العامة، وقابليتها للترجمة بمعانيها، وبناء على هذا فقد اقتُرح أربعة أنواع من المبادئ الخاصة، وهي:

2_1 التأليف الصوتي:

وقد قلّ الاهتمام به، فخص بثلاثة مبادئ، دعا الأول إلى تجنّب تنافر الحروف في المصطلح تسهيلا للنطق به، ودعا الثاني إلى تفضيل اللفظ ذي المخارج اللينة، الذي تكثر حروف الذلاقة ودعا الثالث إلى تفضيل الصيغة القليلة الحركات على الصيغة ذات الحركات المتوالية، ففي الثلاثي مثلا يُفضّل ساكن العين على متحركها، فهذه المبادئ الثلاثة تدعوا إلى نوع من " الجمالية البلاغية" التي يُستحسن توفرها في الوحدة المعجمية العامة القابلة للانتظام في نص أدبي.

2_2.البنية الصرفية: اهتمت المجموعات الأربع بمسألتين متصلتين ببنية المصطلح المولد الصرفية: الأولى: هي بساطة البنية فقد اتفقت كلها علم تفضيل الوحدة المعجمية البسيطة والمتكونة من عنصر واحد على الوحدة ذات البنية المركبة (المتكونة من عنصرين) والوحدة ذات البنية المعقدة والمتكونة من أكثر من عنصرين) والحجة المقدمة هي أن الوحدة البسيطة تساعد على تسهيل الاشتقاق والتصريف، ولا يخفى ما في هذا المبدأ من الضعف والوهن لأنه ينفي قاعدة التركيب في التوليد ويكاد ينفي قاعدة النحت، وتكفي نظرة عجلي في أي معجم عربي مختصّ لتبين استحالة تطبيق هذا المبدأ تطبيقا عاما، فإن المصطلحات المركبة والمعقدة في معاجمنا المختصة كثيرة جدا.

والمسألة الثانية: هي السوابق واللواحق، وعلى هذا الأساس فإن الاتجاه العام هو الميل إلى ترجمة هذه الزوائد التي تعد مخالفة لطبيعة البنية في الكلمة العربية ولكن المتأمل في معاجمنا المختصة يبين الفوضى الغالبة في ترجمتها ويُظهر التذبذب بين ترجمتها وتعريبها، وقد أوضح إبراهيم بن مراد ترجمة لاحقة" Oide" وقد نقلت إلى سبع عشرة طريقة، إذن فإن هذه المسألة ما زالت[4] في حاجة إلى التدقيق والضبط وخاصة من حيث صلتها بالنحت وقابلية البنية الصرفية العربية للخاصية السلسة المقيدة.

2_3.الدلالة:

وقد اهتمت المجموعات الربع بثلاث مسائل: أولاها نسميها " أحادية التسمية" وذلك بأن يُخَصَّص مصطلح واحد لمفهوم الواحد فلا يشترك في المفهوم الواحد اسمان أو أكثر فيُتَجَنَّب بذلك الترادف، والمسألة الثانية، هي " أحادية الدلالة"، أي أن يكون المصطلح المولد ذا دلالة واحدة في الحقل الذي ينتمي عليه، فلا تعدد بذلك دلالاته فيكون من المشترك، فالمبادئ الخاصة بهذه المسألة إذن تدعم إلى تجنب الاشتراك الدلالي، وأما ثالثة المسائل فليس للعلم فيها دخل بل هي تربوية أخلاقية محضة وهي " تجنب النافر و المحظور من الألفاظ".

2_4.الاقتراض المعجمي:

وجلّ المبادئ في المجموعات الأربع تؤكد أمرا واحدا، هو تفضيل المعرب على الدخيل، وذلك في مستوى التأليف الصوتي وفي مستوى المهنة الصرفية، أما في الأول فقد دُعي إلى أن ينطق بالمعرّب كما عرته العرب، وإلى أن يُرجح من المقترضات ما يُسهل نطقه وهي طريقة تعريب الأصوات الأعجمية التي لا مقابل لها في العربية، لم يُعتن بها العناية الكافية، وأما في مستوى البنية الصرفية فقد دعا إلى " التغيير في شكل اللفظ الأجنبي حتى

يصبح موافقا للصيغة العربية، وذلك بأن يتناول بالحذف أو بالزيادة حتى يلحق ببنية صرفية عربية فيخضع لمقاييس العربية و يصبح معرَّبا تاما.

ويتبن من هذا القسم الثالث الأخير إذن أن المبادئ وضعت لترجمة العمل في توليد المصطلح العلمي العربي الحديث، سواء كانت عامة أو كانت خاصة، مبادئ ومثالة لم تستخلص في الغالب من واقع اللغة وحقيقة استعمالها؟، ولم تُراع فيها طاقات اللغة الحقيقة على التطور والتجدد.

وبناء على هذا قد بين لنا هذا البحث أن المحدثين من العرب قد اعتمدوا في توليد المصطلح قواعد ومبادئ، لكن القواعد لم ترق إلى مستوى القواعد النظرية القائمة على جهاز نظري وجهاز مفهومي قويين، فلم ينته بها إلى توليد مصطلح عربي نام متطور مواكب لتطوّر المفاهيم والأشياء، فهو قواعد منتقاة لم تراع في اعتمادها قدرات اللغة الحقيقة على التطور، فكانت قليلة العدد، مضطربة التطبيق، وأما المبادئ فلم تخرج عما فُرض على القواعد من القيود، فكانت في الغالب نتيجة تصور اللغة على ما يُراد لها أن تكون عليه، وليس نتيجة الواقع الذي هي عليه بالفعل، ولذلك لم تؤكد إلى إكساب المصطلح المؤكد الدقة والخصوصية فلاشك أن ما يطبق من القواعد ومن المبادئ في حاجة إلى أن يوضع في منهجية عامة في التوليد المصطلحي تكون ذات أسس نظرية وتطبيق واضحة متكاملة تراعي خصوصيات تولّد الوحدة المعجمية المخصّصة، وطاقات اللغة على التطور والتوليد.

على أن تلك المنهجية لا تكون متينة دقيقة وافية بالغرض منها إلا إذا نظر إلى قضية التوليد المصطلحي ضمن إطار أعمّ هو التوليد المعجمي، وذلك بالربط بين المصطلحية وعلم المعجم والربط بين التوليد المصطلحي والنظرية العامة في الإبداعية المعجمية، على أن التوليد المصطلحي في اللغة العربية اليوم صلة بمبحث أخر هو نظرية الترجمة، فإن المصطلح العربي

المولد مازال يعتمد المصطلح الأعجمي مرجعا أساسيا يحدد خصيصته الدلالية بل يتحكم في بنيته الصرفية في أحيان كثيرة، ولذلك فإن النظر في التوليد المصطلحي مخرج إلى النظر في نظرية الترجمة أيضا.

ثانيا: أثر المصطلح العربي الحديث في علوم اللغة

1. يتضح من تاريخ تكون المصطلحات اللغوي المعاصرة أنها بدأت بداية متواضعة عند الطهطاوي (1801-1872)، وذلك عندما حاول تعريف معاصريه بعدد اللغات الأوروبية القديمة والحديثة، وهنا نجد مصطلحي: اللغة واللساني، ذكر: اللسان الفرنساوي، واللغة الفرنسية، كما كتب عن اللغة العربية، واللغة اللاتينية وغيرها وقد أفاد الطهطاوي كذلك من كلمة يونانية معربة منذ العصر العباسي، ومن كلمة فرنسية وقال بأن المصطلح " فن تركيب الكلام، فكأنه يقول فن النحو"[5].

وهنا نجد الاقتراض المعجمي يتوازى مع بيان المحتوى بكلمات عربية شارحة.

2. بدأت كلمات جديدة تخذ دلالات اصطلاحية عند العلماء، وأصبح عدد كبير منها من الرصيد الأساسي لمصطلحات اللغوية منها كلمة: قاموس تحولت من اسم على أحد المعجمات فأصبحت كلمة عامة دالة على كل أفراد هذا النوع من المؤلفات اللغوية، فكلمة قاموس مثال واضح لبداية استخدام كلمة موروثة بمعنى اصطلاحي جديد أخذ يستقر في بداية النهضة الحديثة في مصر، وعليه فإننا نجد بداية استقرار كلمة قاموس للدلالة على ذلك النوع من المراجع اللغوية أنها تعود إلى الفترة 1822-.1832

3. ومن المفيد أيضا أن تجمع المصطلحات التي وردت في كتب رواد النهضة وفي مقدمة الطهطاوي و الشدياق،والمصطلحات التي وردت في عدة دوريات ومجلات حديثة ،ومن أشهر علمائها جرجي زيدان ،وإبراهيم اليازجي وأنساس ماري الكرملي ،فهذه

المطبوعات المتخصصة وغير المتخصصة أسهمت بشكل واضح في تكوين مصطلحات استعرت اليوم بدلالات محددة مستحدثة ،منها المصطلحات : قاموس،معجم،مجمع،اللغات السامية،التراكيب المعجمية وذلك إلى جانب المصطلحات المستخدمة في الكتب الثقافية والتعليمية لتعرف الجديد من المصطلح اللغوي.

4. دخل المصطلح الغوي مرحلة جديدة بعد سنة 1908،إن التحول الجديد وثيق الصلة باتجاهات البحث اللغوي الإيطالي جويدي مختصر علم اللغة العربية الجنوبية سنة 1929،أما برجشتراسر فكان يفيد من المصطلح نفسه، وقد ألف، التطور النحوي للغة العربية"، ونجد فيه مصطلح علم اللغة التاريخي كما فكرت مصطلحات، علم الأصوات العمومي،والتغيرات الصوتية المطلقة، والمقيدة، وكلها مصطلحات جديدة في تركيبها ودلالاتها الحديثة.

5.لقد أدرك برجشتراسر الفروق بين المصطلحات التراثية والمصطلحات الحديثة، ولم يكن يفيد من المصطلحات التراثية والمصطلحات الحديثة، ولم يكن يفيد من المصطلح التراثي إلا عند يقينه من مطابقة المفهوم الجديد للمفهوم التراثي، ولهذا وجد من الضروري عند التعبير عن مصطلح Assimilation أن يضع مصطلح التشابه أو التماثل وأن يوضح الفرق بين مفهوم التماثل في علم اللغة الحديث ومفهوم الإدغام عند النحاة العرب: كما نجده عدم الإفادة من مصطلحات تراثية منها الهمس والجهر، وذلك لأن دلالة المصطلحين الأوروبيين كان موضع نظر وخلاف وهنا نجد الإفادة المباشرة من المصطلحات الأوروبية في وضع المقابل العربي، وبين برجستراسر موقفه، بقوله:"مصطلحات غير اصطلاحاتنا، أصل بعضها غامض، ولكن معناها واضح، وهي: مجهور بمعنى صوتي ومهموس بمعني غير صوتي"،

وعليه فقد ميز برجستراسر الأصوات إلى صوامت وصوائت وحركات ممدودة وغيرها من المصطلحات.

6.لقد استقرت اتجاهات البحث اللغوي الحديث في اتجاهين أساسين، فقد ظلت المدرسة السامية المقارنة يمثلها خليل يحي نامي ومراد كامل وإبراهيم السمرائي، والسيد يعقوب بكر تتعامل برصيد المصطلحات التي كانت قد استقرت منذ عرفت المنطقة العربية الدراسات السامية المقارنة، أما المدرسة اللغوية التي ارتبطت بإبراهيم أنيس ومن درسوا علم اللغة العام مع اهتمام خاص بعلم الأصوات، فكانت تمثل تيارا موازيا فتكونت أكثر المصطلحات المتداولة بجهود هؤلاء اللغويين[6] كما عبرت هذه المصطلحات عن المفاهيم الأساسية للتحليل اللغوي، كما تحددت في إطارها أسماء مُقنّنة للغات السامية ولهجاتها وللغات الأفريقية وهكذا تجاوزت هذه المصطلحات في أكثر الاستخدام الفردي وأصبحت رصيدا أساسيا في علم اللغة، وعلى إثر هذا وضعت مصطلحات كثير، منها علم اللغة التقابل، وعلى اللغة التطبيقي والبنيوية، والبنية السطحية والبنية العميقة، والنحوالتوليدي التحويلي، وقد أصبحت هذه المصطلحات من الرصيد المشترك عن اللغويين العرب.

7.كما تكونت عند عدد من اللغويين اللبنانيين مصطلحات تتفق إلى حد بعيد مع أشقائهم في مصر والعراق، وإن احتفظت في حالات محدودة بطابعها الخاص، فقد ذكر ريمون طحان في كتابيه عن " الألسنية"[7] بين هذه التسمية وتسميتين أخريين هما: الدراسات اللغوية والعلوم الألسنية، وقد أفاد كثيرا من الاقتراض المعجمي في كل مصطلحات الفونتيكا Phoretique والفونولوجيا Phonologie والفونيم Phoneime. أما المصطلحات التراثية فقد استقرت على نحو ما عند مباشر اللغويين، وهكذا نجد مصطلحات

المخرج والحنك والجهر والهمس والترقيق والإطباق والقلب المكاني، وهكذا استمر بناء المصطلحات اللغوية على نحو يتسم بالاطراد والخلاف المحدود.

8.أما في المغرب العربي، فقد ظهرت جهود تمثلت في كتب رشاد حمزاوي وقد أعد معجما تسجيليا للمصطلحات اللغوي الحديثة في اللغة العربية، ومنهم من اقتصر على الترجمة، وتعد الترجمة التي أعدها صالح القرمادي سنة 1966 لكتاب "دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو مهمة في تعرف مشكلة المصطلحات اللغوية، وقد عرف القدماء هذا التخصص باسم علم اللغات linguistique أو علم اللغات العام، ولكن القرمادي أفاد من مصطلح مشرقي، نادر، وهو الألسنية وجعل تسمية لعلم اللهجات Dialectologie وعبر عن المختصص في اللهجات بأنه عالم في الألسنة Dialectologie، وتتسم محاولات القرمادي بقلة الاقتراض المعجمي، حاول أن يميز المفاهيم بكلمات عربية، فقد ميز علم الأصوات أو الصوتيات Phonetique عن علم وظائف الأصوات Phonologie ولكن مشكلة المصطلحين تظهر عند النسبة إليهما النسبة إلى الأول صوتي وإلى الثاني وظائفي، والمكلمة الأخيرة غير دالة.

أما مصطلح Phonème فقد حاول نقله إلى العربية تارة بكلمة صوت وتارة بكلمة صوتم، ومن الجانب الأخر فقد بالغ القرمادي في الإفادة من المصطلحات التراثية على نحو جعل القارئ يغلط بين مفهومين مختلفين، كلمة حرف دالة والتراث على الرمز المكتوب والصوت المنطوق، فجعلها القرمادي ترجمة لكلمة Consonne في مقابل الحركة Voyelle.

9.لقد كان مصطلح علم اللغة آخذا في الاستقرار عند المتخصصين في المشرق وتونس، فإذا بنا نواجه بمصطلح اللسانيات في إطار زاعم أن والشروط الضرورية لعالم اللغة

مجتمعة عند عدد من الباحثين في المغرب، وبهذا بدأت الدعوة إلى تعديل المصطلحات القائمة، وقد شغل بعض اللغويين بالدفاع عن المصطلحات القليلة التي وضعوها.

10.إن قضية المصطلح اللغوي لا يمكن أن تؤخذ برؤية فردية ولا يمكن أن تبحث بطريقة النظر في المصطلح المفرد ثم الخلاف حوله والتشكيك فيه وإعادة النظر فيه، لقد ظهرت في السنوات الماضية مجموعة طيبة من المعجمات الثنائية اللغة بالمصطلحات اللغوية، أعدها أعلام تجمعهم الرغبة في مواجهة هذه المشكلة، وتفاوتت مناهجهم بين لتسجيل والاختيار الواعي وإكمال النقص باختراع مصطلحات فردية، ولن ننظر هنا في المصطلحات الواردة في هذه المعجمات بهدف مقارنتها بشكل جزئي ولكننا نود أن نخرج من النظر في هذه المعجمات وفي الكتب اللغوية المترجمة والمؤلفة بالعربية بسلسلة العامة لعلم المصطلح.

ثالثا: المصطلح في الوقت الحاضر وآفاق المستقبل

لا تزال المصطلحات تشق طريقها، وهي دائما في تطور ونماء لحل مشكلات اللغة، لأن اللغة تعبر عن الإنسان وحاجاته، والإنسان لا يعرف الاستقرار والثبات، فلا بد من الحفاظ على اللغة لأن بها تحفظ الصلة بين حاصر الأمة وماضيها، وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على المستقبل، وما دمنا قد قلنا إن اللغة كائن حي يولد وينمو ويموت،، نموت اللغة موت للأمة نفسها، إن الفصل لا يقف، فالذين كانوا قبل عشرة آلاف سنة لا يزال تسلهم يتوالى إلى اليوم، ولكن وجودهم في آمة راهنة رهن ببقاء لغتهم وحضارتهم، بهذا يُفهم بقاء الأمم وانقراضها[8]

إن التطور السريع للعلوم والتكنولوجيا بالدرجة الأولى وللعلوم الإنسانية بالدرجة، الثانية أصبح يستدعى الدقة في استعمال الألفاظ والمصطلحات، وهذا ما يجب أن تقوم به

الهيئات والأفراد حتى نصل إلى التعريب، لننمي لغتنا بألفاظ العلوم التي تتكاثر يوما بعد يوم، ويميل العلماء فيها إلى التعبير الفني الدقيق[9].

فالتعبير الدقيق الذي يفرق بين الألفاظ وإن تشابهت، وهذا ما تفطن إليه الجاحظ منذ وقت مبكر حين أدرك أن العامة من الناس لا يحسنون استعمال الكلمات، فمن ذلك أنهم يستخفون ألفاظ فيقتصرون على استعمالها، من ذلك أنهم يستعملون الجوع مكان السّغب، مع أن كلمة جوع لم ترد في القرآن الكريم إلا مع العقاب، وكذلك يفضلون كلمة مطر على كلمة غيث، مع أن " الغيث" للنعمة والترجمة "و" المطر" للعذاب والإهلاك[10].

ونورد مثالا على الدقة قول الشعبي في تقسيم الجلوس : جلس الإنسان برك البعير، ربضت الشاة، أقعى السبع، جثم الطائر، حضنت الحمامة على بيضها[11].

إن الدقة في شرح الكلمات وتتبع أصولها له نتائج جيدة في البحوث العلمية، وهو ما قام به المؤرخ الفرنسي المشهور Fustel de coulange عندما تتبع تاريخ " الميروفنجيين" فتعمق في دراسة نحو مائة كلمة من الكلمات المطورة في الوثائق التاريخية، وتوصل من دراسة إلى حقائق هامة جدا، غيرت ما كان يُعرف عن تاريخ فرنسا في عهد هذه الأسرة تغييرا كبيرا[12].

فاللغة العظيمة هي التي تتعامل مع غيرها أخذا وعطاء، ومقدرة اللغة على تمثل الكلام الأجنبي يعد ميزة وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها،وأنزلته على أحكامها، وجعلته جزء لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها[13].

وبهذا الأخذ والعطاء يصل الأدب إلى العالمية، وهو الخروج من الحدود القومية، طلبا لكل ما هو جديد مفيد تهضمه اللغة وتتغذى به واستجابة لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض، لها أسسها العامة التي تحدد سيرها[14].

والعربية حينما تأخذ المصطلحات- لا يعني هذا أنها ضعيفة أو عاجزة، وهذا ما يعتمد عليه الممتنعون عن استخدام اللغة العربية، وهذا الاعتماد فاسد أصلا، لأنه يخلط بين المصطلح الذي هو دعاء واللغة التي هي أداة التفاهم.

إن تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية، وقد يعده المتشائم بمثابة الداء الذي يندر أن تفر أو تنجو منه الألفاظ، في حين أن من يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطور على أنه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة[15].

واللساني مطالب قبل غيره بمواكبة تطور اللغة، فهو أدرى من غيره بها، فهو يتصدر مركز المسؤولية في التخطيط والتطويع والمواكبة المتعلقة بالاصطلاح، فهو لا ينال من مصطلح ميدانه وحسب ولا عن اصطلاح الميادين المجاورة، بل يقاسم مسؤولية أي اخصائي في وضع المولد الجديد في حقله، وضبط وسائل توليد اللغة (Meology)[16].

وعلى هذا الأساس فيتطلب النهوض بعلم اللغة في المنطقة العربية مقومات كثيرة تقتصر هنا على ما يتصل بالمصطلحات:

أ.ثبت أن المصطلحات التراثية تشكل صيدا مشتركا لابد من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة.

لقد تجاوز البحث تلك الرؤية العامة للمصطلحات في إطار بحث المدارس النحوية: وأصبح الاتجاه الحالي إلى عمل بحوث متخصصة عصر مصطلحات البحث الصوتي من مظانها في كتب النحاة واللغويين وتبحث أيضا ما يتصل بالأداء النطقي في كتب البلاغيين إلى جانب المصطلحات الواردة في كتب التجويد، أما المصطلحات الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية فلها مصادرها الكثيرة التي يعتمد عليها في العمل المعجمي المختص.

ب.اتضح أن اكثر الجهود التي بذلت في العصر الحديث اقتصرت على المصطلحات الأساسية ولم تتجاوزها إلى مصطلحات أكثر عمقا وتخصصها فما أكثر المصطلحات التي لم توضح لها مقابلات على الإطلاق فأثر الباحثين يبدءون من الصفر وينتهون قريبا منه، واكتفى من كان يريد الترجمة بأن يقتبس الأفكار البسيطة في الكتب المترجمة ويتجنب التفصيلات التي لم توضع للتعبير عنها مصطلحات مناسبة.

ج. لم يعد من المفيد النظر الجزئي في المصطلح المفرد بهدف إيجاد المقابل العربي له، فإن الكلمة الواحدة قد تختار عند النظر في مصطلح ما ثم تختار مرة أخرى عند بحث مصطلح آخر، وبذلك تكون لمفهومين مختلفين أو أكثر، ولهذا فمن الضروري الإفادة من الفكرة الأساسية في علم المصطلح العام، والتي تقول بضرورة حصر مصطلحات التخصص الدقيق الواحد ووضع مصطلح لها على النحو الذي يحقق التحالف المنتمية إلى مجال واحد أو إلى مستوى واحد من مستويات التحليل[17].

د.تعددت التخصصات الدقيقة في إطار علم اللغة العام وفي إطار علم اللغة التطبيقي وفي المجالات التي تربط علم اللغة بالعلوم الأخرى وما أكثر هذه الفروع، ولهذا فقد يكون من الضروري في هذه المرحلة التخطيط لحصر المصطلحات في داخل كل تخصص دقيق وإيجاد المقابل العربي لكل منها.

هـ.تعد المعجمات التي تخلو من التعريفات غير مفيدة للقارئ فالمعجمات المتخصصة التي تكتفي بالكلمة ومقابلها تجعل القارئ يحمل في حالات كثيرة دلالة كلمة في لغة ما على كلمة أخرى في لغة ثانية ، ولهذا فإن بعض المعجمات الأوروبية المتخصصة في علوم اللغة تذكر المصطلح بأكثر من لغة مع بيان دقيق للمحتوى، وهي في الواقع معجمات موسوعية متخصصة، ولم يصدر بالعربية معجم متخصص من هذا النوع لمصطلحات العلوم اللغوية.

و.من الضروري وضع المصطلحات المعيارية موضع التنفيذ في إطار خطة متكاملة لترجمة المؤلفات الأساسية في علم اللغة العربية، إلى جانب الكتب الأساسية في المجالات المتصلة به وفي مقدمتها، علم اللغة التطبيقي، وعلم الأسلوب، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي،وعلم المصطلح. المصطلح إذن- غني بالمعرفة المنهجية لأنه جزء أساس من آلية الخطاب العلمي، وعلميته هذه متأتية من موضوعيته التي تعيد فعل الدلالة والصياغة فيه إلى درجة الشفافية والمطابقة، وهي أعلى مستويات الكفاءة التواصلية في فعل اللغة.

يكفي اللغة العربية شرفا أنها عاشت لغة الحضارة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي وأنها ثرية كل الثراء بألفاظها وأساليبها وبلاغتها، وبما تشتمل عليه من أصول لغوية نادرة على النمو والتجدد والحياة.

وفي عصر الحضارة الحديثة، ونحن مقبلون على الدخول على قرن جديد وأمام سيل المصطلحات العلمية الوافدة إلينا، والتي تصلبّها نموا الحضارة والمخترعات الجديدة، كان لابد للعقل العربي أن يقف أمام هذه المصطلحات دارسا ومخططا ومحاولا اتخاذ موقف لغوي منها، وكان لابد لنا كذلك من التعرف إلى موقف أسلافنا من الحضارات التي كانت محيطة بهم، ومن المفردات اللغوية الدخيلة التي وفدت إليهم وحاولت التسلل إلى لغتهم بتأثير الاختلاط والجوار والتجارة والتقارب الإنساني واللغوي.

ونحن اليوم في أشد الحاجة في استعمالاتنا وكتابتنا إلى ألفاظ لا حصر لها من المصطلحات العلمية للمسميات التي تعايشنا في كل جوانب حياتنا العامة والخاصة على السواء.

وأهمية المصطلح العلمي ترجع إلى أنه أساس الدراسة والبحث والتأليف وهو عامة لغة العلماء، وقد بذلت فيه، جهود كبيرة منذ فجر القرن العشرين، واختلفت الأساليب المتبعة

من أجله، فمن إحياء للمصطلحات القديمة إلى استحداث مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق والتعريب، أو نقل المصطلح بعينه وصدرت معاجم متخصصة، وفي علم اللغة العربية أصبحنا نقرأ في الحداثة وفي البنيوية، وفي النقد والبلاغة عموما مصطلحات جديدة لا حصر لها، مع اختلاف البلدان العربية في هذه المصطلحات أيضا، فنقرأ وكأننا نقرأ لغة غير مفهومة إلا أننا في حاجة إلى توحيد المصطلح ونشره في كل مكان، ومن الضروري استقراء وإحياء التراث اللغوي العربي والوقوف على ما استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات عربية صالحة للاستعمال اليوم.

الخاتمة:

قد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج يمكن حصرها فيما يلي:

1. أصالة الدرس الصوتي العربي، مما يؤكد أصالة بعض المصطلحات الصوتية المتداولة.

2.لا ترادف في المصطلح العلمي الدقيق، إذ إن ذلك يكرس الازدواجية في المصطلحاتية ولا اشتراك في المصطلح العلمي الدقيق إذا إن ذلك يكرس الازدواجية الدلالية في المصطلح.

3.دراسة المصطلح في اللغة التي ظهر فيها، وفقا لخصائصها و مميزاتها، دراسة شاملة ودقيقة لكل حيثيات و خلفيات وضعه واستعماله، حتى يتجلى لنا في أكمل و أدق و أوضح صورة و إعادة النظر في المصطلحات التي تحسب من المترادفات و تحديد الفروق الدلالية الدقيقة بينها.

4.تباين الأسس المنهجية و تطورها في دراسة اللغة، من الاختلاف في الأطلس اللغوي للاستقراء حتى طغيان الفلسفة و المنطق على نشاط هذه الدراسة.

5.أصالة الدراسات اللغوية عند العرب، و عدم محاكاتها للدراسات الأجنبية التي سبقتها، إذ يتمثل ذلك في الدراسة الصوتية و وضع المعجمات اللغوية، و النحو.

6.طول باع العرب في دراسة اللغة، ذلك أنهم كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية، و على جانب أكبر من استيعاب ظواهر اللغة و فهم قوانينها، و استكناه أسرارها في التطور و النمو.

7.ضرورة البناء على ما أسسه العرب القدماء، و الاستفادة مما أبدعوه و ابتكروه في شتى موضوعات اللغة، لتطوير العلم اللغوي انطلاقا من الموضوعية التي تفرض على الباحث، و ــهو يقوّم أعمالهم الرائدة– أن يدهش و يفخر.

الإحالات

[1] مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد،ص70.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

[3] مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص 72.

[4] من قضايا المنهج في نقل المصطلح ووضع و تقييسه في اللغة العربية، إبراهيم بن مراد المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس 1992-ص 107.

[5] الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمد فهي حجازي، ص 217.

[6] المرجع السابق، ص، 220.

[7] العربية، ريمون طحان، بيروت دار الكتاب اللبناني 1972، (سلسلة الألسنية 1،2) ميشال زكريا و الألسنية وعلم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكرياء، ط2، بيروت المؤسسة الجامعية، مدارسات، 1983، وله أيضا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية والجملة البسيطة، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والفكر 1983.

[8] تاريخ الآدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت ط5، 1984، ج3 271.

[9] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط 10-1983، ص4 321.

[10] البيان والتبين، الجاحظ، ج20/1.

[11] فقه اللغة وأسرار العربية الثعالبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 193.

[12] المصطلحات في عالم التدوين أحمد الأطراش السنوسي، مجلة الحضارة الإسلامية، ص 163.

[13] دراسات في فقه اللغة صبحي صالح، ص 314.

[14] الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، ط5ص 105

[15] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1972،ص 123.

[16] اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات بيروت باريس 1985، ص 392.

[17] الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، ص 234.